بين الفلسفة والسياسة

السياسة هي، في نتاج فكري، رصاصة وسط كونشرتو، فقيمة النتاج في ذاته اسلوبه براعته، اشكاليته معالجته، وما دامت في الأرض مجاعات وبؤس ومظلومون، لابدّ للكلمة النيّرة من دور وحضور.

أجل، الجوهر المنفصل عن أرضه ينوي، والرسالة الطالعة من غير تربتها لا تبلغ مرماها، وأخلد الآداب روايةٌ تعالج موضوعاً معيشاً، ومسرحية من قلب واقعها، وقصيدة من قلب شاعرها، ولكن من غير أن تكون الرواية سرداً لحوادث سياسية، ولا المسرحية مجموعة أغانٍ (شانسونيه) آنية لأخبارٍ السياسة والسياسيين، ولا القصيدة أرزاً لموكب العروس أو زيتاً لبارودة المقاتل.

السياسة فن الممكن والآني والمتغير، والآداب فن المثال الثابت الباقي. لذا، تلاشى من وظف قلمه حصراً لمدح الحكام أو انتصاراً لحدث أو مناهضة لوقائع. هذا لا ينفي العلاقة الوثيقة في أكثر الأحيان بين الآداب والسياسة، فالآداب تصقل المواطنين وبينهم السياسيّون وفي المطالعات المتأنية تنشئة للروح النقدية في أذهان التلامذة، فضلاً عن تنشئة الذائقة الفنية والسعي إلى تجسيد القيم العليا. الحاكم الفيلسوف أو الفيلسوف الحاكم شأنه، كما قال أفلاطون، أن يقود أمته إلى غير ما يقوده اليه حاكم جاهل أو متجاهل، وليس كالفلسفة والآداب عموماً ترفد الإنسان شحنة جسديّة - نفسيّة - روحيّة تجعله يتوق الى شاهقات الحق والخير والجمال.

صورة السياسي، ولو ملطفة، مجرّد صورة خياليّة. إنها صورة فوتوغرافية ناسخة آتية لزمان ومكان ما تتناول منها الفلسفة ما كان بالأبيض والأسود، فيحوّلها الفيلسوف تصوّراً أي لوحة تتجمّل ألوانها لكل زمان ومكان.

ثمة بون شاسع بين عبور السياسة وخلود الفكر، بين تبخّر الكلام وبقاء الكلمة. فلنختر، إذاً!

د. جهاد نعمان